

## بترا

....

تُرفع الستارة بعد مقدمة موسيقية عسكرية الطابع ترافقها نفحة حزن، تتحرك على إيقاعات مارشاتها سرايا قوات مملكة بترا مغادرة المدينة باتجاه جبهات القتال بينما ينهمك في القصر ملك البلاد مالك الثاني وحاشيته بالاستعداد للذهاب على رأس قواته مودعاً زوجته الملكة (شكياً) والوزير (ريبال) وموظفي القصر الذين تجمعوا للإعراب عن تمنياتهم لملكهم بالنصر على المعتدين وعن ولائهم ووفائهم له وللوطن الغالي.

وتنقل لنا صورة النفير وتحركات المقاتلين بأسلحتهم وخيولهم تقنية الإضاءة والصوت والديكور واللوحات الخلفية التي اشترك بتصميمها وإخراجها بالقوالب السينمائية العالية التأثير كل من عبد الحليم كركلا وغازي قهوجي تحت إدارة المخرج السينمائي مروان الرحباني.

يهتف المتجمعون وهم يودعون الموكب (عاش الملك) ويرددون هتافهم الصادق ثم يعلن الوزير ريبال بيان الحكومة الحربي يُعرفنا من خلاله بمملكة البتراء المتميزة بالعدل والمساواة بين الناس وبالحرية والرخاء والازدهار:

الوزير:	يا بترا	كنتي وبتضلي
	سيف الكرامة	تاريخ الأبطال
	لا عبيد عندك	لا طبقات فيكي
	وصرخات الحق	بتحميكي
كورس النساء:	بترا	
كورس الرجال:	بترا	
الجميع:	رئين الخطر والأمان	
كورس النساء:	بترا	
كورس الرجال:	بترا	
الجميع:	زمانك عطايا الزمان	

....

كان الرومان يتحسرون على حضارتهم التي أضاعها الصلف والتأمر وعلى النموذج الأول في تاريخ البشرية لحكم البلاد الجمهورية بطريقة ديموقراطية، وما انفك الشعراء والفنانون يعربون عن أسفهم لما وصلت إليه حال إمبراطوريتهم في عهد ما بعد مؤامرة اغتيال يوليوس قيصر في سنة ٤٤ ق. م، والتي كان نيرون قد توج انحطاطها بالحروب الداخلية وبإشغال الفنن وباستخدام اليهود أحياناً وبالتفريع بهم والتكبل بالمسيحيين الأوائل حيناً آخر. وقد وصل به العداة للمسيحيين في أواسط القرن الأول للميلاد أن أمر مراراً بتقديم أجسادهم وهم أحياء إلى الحيوانات الكاسرة والتلذذ بمشاهدتها تلثمهم لحومهم.

حلّم نيرون ببناء (قصر الذهب) الذي لم يستطع أيُّ من أباطرة روما بناءه. كانت خزينة روما تعاني عجزاً تطلّبت تغطيته حملات النهب في مناطق ودول المشرق وكانت البتراء واحدة من المناطق الغنية التي طارت إليها عينا نيرون الطاغية والذي كان قد علم من أستاذه المغرور والمتعصّب (سينيكا) أنها ثرية بالتحف والتماثيل الهلنستية من عهد ألكسندر الكبير وأن روما أحق بذهب البتراء والممالك المجاورة. جدير بالذكر أن الأدب والعلوم وفنون التعبير ومنها النحت الذي ملأت بلدان العالم بها حضارتنا أثينا وروما قبل عهد نيرون قد انحدرت بشدّة وقلّت أعداد الأدباء والمهندسين والنحاتين وشحّت الإبداعات المعتادة.

ولم يكن حريق روما قد شبَّ بعد ولكن أفكار نيرون وخطته لإعادة بناء المدينة انطلاقاً من قصر الذهب أعطت للمتأمّرين من اليهود في روما وخارجها على أبناء الطائفة المسيحية فرصة للمناورة وإثارة حقد نيرون الشديد عليهم فقاموا بإحراق المدينة واتهام المسيحيين بفعلها. هناك أكثر من افتراض فيما يخص هذا الحريق الهائل في العام ٦٤ م. والذي بدأ في مسرح السيرك الخشبي واستمر أكثر من أسبوع قبل أن يتمكن الناس من إيقافه وحماية ربع أحياء المدينة فقط، وأكثر هذه الفرضيات شيوعاً في إيطاليا يشير بأصابع الاتهام إلى اليهود المتغلغلين في بلاط قصر نيرون الفاجر، الذي قيل بأنه حمل قيثارته فرحاً وراح يغني من فوق إحدى تلال روما أشعاراً لهوميروس تصف حريق طروادة.

ولتغطية ضعفه وعجزه وحالة العزلة الداخلية وبطشه بمعارضيه وسحقهم فقد لجأ نيرون وأعوانه إلى تجنيد الناس من جميع المناطق الخاضعة بالقوة وإلى شراء المرتزقة والعبيد والخيول لتكوين جيوش تباهى بأنها خارقة القوة وانها (نَهْرُ الْعَسْكَرِ نَبْعُ الْخَيْلِ).

....

في هذه الأثناء تكون الفرصة قد حانت تماماً للمتربّصين لايوس وباتريكوس اللذين وضعا خطة لاختطاف ابنة الملك بعد فشلها بتسميم مياه الشرب. يضع أحدهما يده على فم البنت البريئة منعاً للصراخ ويحملانها بسرعة بعيداً في غفلة قصيرة من الوصيّة وعياش وصالح الذين عادوا وصراخهم يتصاعد (بِتْرَا بِتْرَا بِتْرَا ... وينا؟ يمكن عم تفتّش عَلَيْنَا!! وِين راجت.. بترا.. بترا) وتصرخ هلا جزعة (دَخِيلُكُنْ فَتَشُو) وتتصاعد الأصوات وتتداخل وتندمج بالصدى العائد بعد ارتطامه بالجدران وكأنه وصل إلى أطراف المدينة واشترك به الناس جميعاً وصار القلق صوتاً والحنين صوتاً والخوف صدى ورافقت الموسيقى التصويرية عملية الاختطاف ثم حركة الناس جيئةً وذهاباً، صعوداً ونزولاً.. وجمدت الدماء في العروق مع تأجل انهيار الدمع من المآقي.. ولا ردّ ممّن ينادون!! فحصانا الخاطفين سريعان وطريقهما مكشوفة وسالكة ..

خمدت الأصوات وساد الحزن والصمت حتى لكأن دقائق القلوب خمدت وجمد الدّمع في المآقي الجاحظة في اللاشيء وانبطحت الأجساد على أرض الساحة وعلى الدرجات الحجرية إذ خارت القوى.. وتحضر الملكة بكامل وقارها وقد فهمت ماحدث من خلال الجلبة وخوف الناس واضطرابهم وأدركت بسرعة حقيقة الأمر إذ وقعت عينها المتنقلة بين العيون المتسمّرة باتجاهها، على عيني هلا التي تذكرت قول الملكة (أولاد الملوك بِيْتَنَزَهُو عَ حُدُودِ الْخَطَرِ) ورأت الملكة بكلّ صلابتها وجسارة قلبها فتذكّرت أيضاً أن الملوك كالبحيرة تتجمع فيها (أحزان الكلِّ وهُموم الكلِّ) بمن فيهم أولادهم.

تقطر وجوه الجميع خجلاً وانكساراً إذ شعروا بأنهم أضاعوا بئرا وبأن القلق أصبح ضيفهم الدائم  
وتوعز الملكة الحزينة بالصمت فينسحبون مُطأطي الرؤوس واحداً تلو الآخر تاركين الملكة وحيدة  
بين مشاعر الحزن على ابتتها وموقف الصمود الذي تتطلبه حالة البلاد.

الملكة: راحِتْ بِتْرا      بِنْتِي بِتْرا  
أَخَدْتْها روما  
زغيرة وما بِنْتَعْرِف      بِلِغْبِ الكِبْار

....

الملكة: هالإنْتِصار اللِّي جايي مِتَوَجِّ بِدَمِّ أهالي بئرا، ما إلو حقَّ لا المَلِكِ ولا المَلِكَةِ  
يُضَحُّو فيه من أجل خَلاص بِنْتُنْ  
باتريكوس: إذا المَلِكِ ما أَمَرَ الجَيْشِ بالْتَرَجُعِ بِتَمُوتِ البِنْتِ  
الملكة: وَبِتَمُوتِ إنْتِ

لم يكن باتريكوس يتوقع صلابة إلى هذا الحد من امرأة بل كان يتصورها ستقع فوراً في حفرة  
المساومة بسبب الجرح الكبير الذي سببته فقدانها ابتتها. وقد اشتدَّ غيظ الضابط الروماني من تهديد  
سيده مملكة لا تتعدى بنظره (صخوراً وبضع تلال) فيصرخ مُتَحَدِّياً (أنا جايي مُوت، أنا عَسْكَرِي  
والعَسْكَرِي ما إلو حقَّ يَخْتار طَرِيقَةَ مَوْتُو) وتردُّ بازدراء (مَوْتُكَ ما رَحِ يَغَيِّرُ شي) مؤكدة له  
رفض تهديده (ولا مَوْتِ البِنْتِ).

....

وتعزِّي ملكتنا نفسها بالغناء لبئرا الكبيرة.. بئرا التي انتصرت على الغزاة وأزالت العبودية عن  
كاهل الشعب.. بئرا الحياة والفرح والبناء وسعادة الأحرار

المجموعة: بِيَقُولُو زَغَيْرِ بَلَدِي      وَبِالغَضَبِ مُسَوِّرِ بَلَدِي  
الملكة: الكَرَامَةِ غَضَبِ      وَالْمَحَبَّةِ غَضَبِ      وَالغَضَبِ الأَحْلَى بَلَدِي  
وَبِيَقُولُو قَلال      وَنُكُونِ قَلال      بَلَدِنَا خَيْرُ وَجَمال  
المجموعة: ياصخرة الفجر وقصر الندي  
الملكة: يا بَلَدِي  
المجموعة: ياطفل متوج ع المعركة غدي  
الملكة: يا بَلَدِي  
المجموعة: يا زغير وبالْحَقِّ كَبِيرِ  
وَمَا بِيَعْتِدِي  
الملكة: يــــا بَلَدِي